

سكرة طوني بيانكيني

قصة بقلم لوشيو دامبرا
ترجمة عوض شعبات

ولد الكاتب الإيطالي رينالو ادواردو مانفانيللا المعروف بلوشيو دامبرا في روما عام ١٨٧٧ ، وبدأ حياته الأدبية محرراً في صحيفة « برياد المساء » . وفي الأربعين من عمره تمخضت موهبته الأدبية عن أعماله الشهيرة في الشعر والرواية والمسرح والتقد ، وترك أستاذاً أدبياً ضخماً بينها مؤلفات بلغت حد الكمال الفني ، مثل « LA FORMICA SULLA CUPOLA DI S. PIETRO » . وبعض المسرحيات التي لاقت نجاحاً كبيراً في ذلك الوقت ، مثل : « STEEPLE CHASE » . ويعتبره النقاد من كبار (الكتاب الأوروبيين الذين اكثروا عودة الرواية البوليفونية التي لا تصدد بشخص واحد أو مشهد واحد ، ولكنها تتمدد في كل مرة ، أكثر فأكثر ، من الإنسان إلى البشرية ، من الخرافة إلى الحياة ، ومن الدائرة المغلقة إلى الأفق الطلق » . وقد مات هذا الكاتب العظيم في الحادي والثلاثين من كانون الأول عام ١٩٣٩ .

في نوار ، كانت الفتاة تغطي بالرمال ساقها الطويلتين الجميلتين كي « تتجنب » كما كانت تقول ... « الروماتيزم المفصلي الموروث عن أبي » . وطوني بيانكيني ، من تموز إلى أيلول ، كان قد نظم قصائد أكثر من بتراركا في مختلف الأعوام التي نظم فيها شعراً على شرف حبيبته لورا ! ..

وقالت الأنسة ليتيزيا ، وساقها غاستان في الرمال الدافئة :
- كل شاعر له ملهمته (٢) ... دانتى ، كانت له بياتريز ! بتراركا ، كانت عنده لورا ! ليوباردي ، كانت لديه ثيرينا ... وانت ، عندك ليتيزيا ! ..

وترديدها لعبارة « انت » في الشعر ، ما كان أكثر منها طبعياً ، كما لو ردها في النثر أيضاً !

وليتيزيا ، لشدة ما التهب حباً بشاعرها ، انفرت إياها عند عودتها إلى روما :

- بارك يا أبي ، فالسيد بيانكيني سيزورنا ! .. أرحوك ، أو افضل ... اندرك باننا ، بطريقة أو بأخرى ، سوف نتزوج !

والاب قد أبدى خيبته لهذا القرار ، لعنا الشعراء والشعراء ، مؤكداً أن طوني بيانكيني ليس لديه ليرة واحدة من خاصته ، وكان يعيش على الموارد الهزيلة لأمه التي تكفي فقط ، أرملة زعيم (٣) مات في الحرب ... ولكن الأنسة ليتيزيا الحت :

- عشتا نتناقش . لدي ثلاثة وعشرون عاماً ، والقانون يسمح لي بالزواج ممن أرغب ... وليست لي حاجة للمال ، إذ لديك ما يكفي مني أيضاً !

والاب الفاضب من صلابة ابنته ، صاح بان ماله لن يكفي شعراء عاطلين .. ولكن ليتيزيا اعترضت :

- سيعرف زوجي كيف يربح حياته .. انها مسألة وقت فقط .. ان يتدبى يا أبي .. انما أكاد أنه سيفقد كاتباً عظيماً ! والروائيون يثرون بسهولة ، أكثر منكم .. بالنبي الصيني ، الزجاجيات والبورسلان! طوني من قال لي .. اتعرف كم يدفعون لقاء كلمة واحدة ، مجرد كلمة واحدة ، لروديارد كبلنغ ؟ .. أربعة دولارات ! .. اسمعت ؟ أربعة دولارات ! اتدري ان ويلز وكونان دويل ، الروائيين الإنكليزيين الشهيرين ، لدهما قصور ومنتزهات وقلاع ؟! اتعرف كم تدر في فرنسا ، قصة معروفة جيداً ؟ مئات الألوف من الليرات ! .. وانت تتكلم عن الفنانين

(٢) MUSA : في الأصل ربة الإلهام عند الإغريق والرومان .
(٣) COLONEL

منذ سبع سنوات ، كان طوني بيانكيني يقبع عشر ساعات في اليوم ، قرب آلة التسجيل ، في محل كبير لبيع الاواني الفضية ؟ البورسلان والزجاجيات ، يقبض ويدفع ويراقب حركات البائعين .

اتشيليس كاسي ، كان هو صاحب المؤسسة القديمة التي احتفلت منذ مدة قصيرة بيوبيلها ، فقد تأسست قبل خمسين عاماً ، في تلك الجادة الكبيرة . وكانت آنذاك ضيقة الحركة ، ثم أخذت تتطور بصورة مطردة ، حائزة على « شعبية » ، بالفاظة ذات المعنى اللطيف أزاء أذواق الجماهير ، والمعلقة في واجهة البنى باحرف كبيرة صارخة .

هناك ، في تلك الزاوية ، عند قاعدة آلة التسجيل ، وعيناه مليئتان بضجتها المعروفة ، كان طوني بيانكيني يجوس الماضي أحياناً ، ويفكر بالدورات التي قام بها العالم حتى يقذفه في ذلك العمل السمج ؟ ان يناقش الاسعار ويعطي « الفرافة » الى العملاء المنكفين .

منذ ثمانية أعوام ، تعرف في إحدى العطلات على ابنة اتشيليس كاسي ، حفيدة انسلمي كاسي مؤسس المتجر ، الفتاة الهيفاء ليتيزيا كاسي ، من كانت نحيلة وطويلة ككأس الشمبانيا التي كانت تستعمل قديماً ، حوالي العام ١٨٣٠ ... وكانت تبدو رقيقة جداً ، كالزجاج الذي كان يبيعه والدها .

ذات يوم ، بينما كانا يرقصان ، سألته بصوت ناعم ، عن الذي كان يعمل ..

- انا ؟ ماذا اعمل ؟ وصلت حديثاً من الحرب التي قطعت هلي دراستي الجامعية .. اه ، نعم .. فلسفة واداب ! ثالث سنة فسي مضمار الاستاذية الان ، قد فات الاوان لأبداً من جديد ! لدي ثمان وعشرون سنة .. عندما يكون المرء قد شاخ ، هكذا ، لماذا يناضل في سبيل شهادة ؟ لن افعل هذا . افضل شيئاً آخر .. ان اغدو شاعراً ، كاتباً ...

وتحتضوء القمر المغربي ، امام النافورة الرومانطيقية في الحديقة ، همست الأنسة ليتيزيا مشدودة :

- قاص ! شاعر ! اه ، كم هو جميل ! احب القصص بوله مجنون ، اعبد الاشعار! فوسكولو ... ليوباردي ... ماتزوني ! .. اذا كنت شاعراً ، لماذا لا تنظم لي بعض القصائد ؟

ولم يكن من الضروري إعادة ذلك ، إذ في الصباح التالي ، بعد ان امضى الليل بكامله دون رقاد ، جلب طوني بيانكيني طرداً فيه اثنتا عشرة قصيدة (١) قرأتها على الشاطئ تحت شمس تعمي البصر ، بينما

(١) SONETO : هي القصيدة التي تتألف من أربعة عشر بيتاً ،

تتضمن رباعيتين وثلاثيتين .

والقوارير .. من الصحن واوعية الحساء .. لدي حتى ، رغبة في الضحك يا ابي !

عام واحد بعد الزواج ، وبما ان ليتيزيا قدمت له فاتورتين عن ثياب حصلت عليها بالتسليم ، ردها اتشيليس كاسي قائلا :
- كيف ؟ انا ادفع هذا ؟ هناك خطأ ... فالروائي ، رجسلا الاداب ، هو الذي يجب ان يدفع ! الا يربح المال اكادسا ؟؟
واضطرت ابنته لان تشرح له ، كون الخطوات الاولى شاقة كثيرا ، وان الناشرين نادرون وغير واثقين ، والصفيفين المحظوظين يحاصرون المر ، واضعين الصعوبات امام انطلاق المواهب الجديدة .
ولكن السيد كاسي ، كان صلبا :

- لن ادفع باية طريقة . انا اصنع قوارير كما قلت ، وابعيها !..
زوجك يصنع اعمالا رائعة (٤) ولكنه لا يستطيع بيعها !

وهكذا ، لكي تدفع الحساب ، اضطرت ليتيزيا ان تمد يدها الى الدخول الشهري الضئيل ، الذي كان والدها يمنحها اياه للقسوت واللبيت - مع انه دائما كان يحتج بشدة على زواج هذين «المعتوهين»... وفي كل شهر ، متجنبة زيادة النفقات البيتية ، كانت تتناول اربعمئة ليرة من الراتب الشهري لتتيت الديون . وكانت في هذه الاثناء ، تتهم عدم مقدرة زوجها ليضمن مؤلفاته .

- ريثما تنتظر نشر كتابك ، لماذا لا تدبر وسيلة لتربح على الاقل ، اربعمئة ليرة في الشهر؟ هناك مجلات كثيرة ، تنشر اقصيص وروايات ، وهذه الاعمال لم تكتب باقلام عابرة ... اسما كثيرة لا تزال مجهولة ، هي لشبان ينتظرون مثلك ، فلماذا لا تكتب اقصيص وروايات ؟
وكان طوني يباكتيني يجيبها :

- انا لست كاتباً رخيصة يا عزيزتي . لست حتى صحافيا !..
انا فقط ، مثل بلزاق قصاص ! الحكايات المسلية ليست من مزاجي .. يلزمني وقت وفضاء ، لانفس ، لاتحرك ، لاتخيل ... لاسرد ! .. لكن كوني صبورة .. قريبا ، لا بد من مشاهدة قصتي الجديدة . اثنتان رفضتا دون ان يكون الناشر قد طالعهما . ولكنني واثق من هذه ! انا متأكد ، انها ستحرز نجاحا . ثمة شيء يقول لي : يوما ما سامسك احد الناشرين ، واقصره على قراءتها . واذا قرئت ، فقد تم الشيء ! ليس عندي شك ، انها عمل رائع... ينبغي لي ان استطيع التقلب على المؤامرات الادبية ، وعلى اللامبالاة بوجه عام ...

والحق يقال ان ليتيزيا رافقت بحماس شديد ، كملهمة حقيقية ، القصة الاولى فصلا فصلا ، ولكن سيرها بدا يكل في القصص الاخرى . واخيرا ، تعبت من الادب . والاعمال الفاشلة المتكررة لطوني ، المتسكع دائما ، من جانب اخر ، ومخطوطاته تحت ذراعه ، كانت تجبن ليتيزيا ، التي كانت تزداد بدانة سمجة اثر كل خيبة جديدة . وتندرجية ، تحولت الكأس الدقيقة في الامس ، الى كوب كبير وزجاجة - يمكن القول ، ان البدانة ايضا ، اغرقت احلام ليتيزيا الشاعرية في الازمنة الفابرة . وهي الان بدينة ، وقد شرعت تعطي اباه الحق في احاديثها مع اصدقائها الجميمين :

- مسكين ابي ! نهاية الامر ، الإباء هم الذين يرون دائما ، افضل واوضح ... ولكن نحن لسوء الحظ ، نريد ان نفعل الشيء الذي وضعناه في رؤوسنا ! بدأت الان اتشكك في موهبة زوجي . لا أستطيع ان اكون حكما صالحا ، ولكن اذا كان حتى الان ، لم يكن شيئا ، فاحسد هذين الاحتمالين يجب ان يكون صحيحا .. اما انه ضحية ، او غبي !..
وقالت لها احدي صديقاتها :

- عفوا ، هناك ايضا افتراض ثالث ! فقد يكون فاشلا ! ..

- فاشل ؟

- نعم ، رجل تافه ، لا يستطيع الوصول الى المكان الذي وضعته

فيه احلامه وطموحه ...

OBRA PRIMA

(٤)

ومن اعمال بدانتها ، تهتد ليتيزيا :

- لا بد ان يكون هذا ... لا بد ان يكون هذا ... طوني ، لا بد ان يكون فاشلا !

وعندما اعيدت مخطوطة قصته الثالثة ، بواسطة الناشر الاول ، الذي ارسلها مع رسالة مثلجة ... تمتعت ليتيزيا :

- بدأت اعتقد حقا يا عزيزي ، انك ، كما قالت صديقتي تيريزينا ... فاشل ! لست باكثر من فاشل !

فاشل ام لا ، كان مقطعا جميلا ، ذلك الذي في اليوم الذي ذهبت فيه مصحوبة بزوجها ، الى بيت ابيها ، معلنة ، ان ذلك التضخم المهيب ، بعد خمسة او ستة شهور ، سيخرج منه طفل ...

فهتف اتشيليس كاسي :

- طفل ! ايضا ، ما كان ينقصني شيء اخر ! .. لم يكن لديكما ما تغلانه ؟ الشاعر والمهمة ؟ اني اسال نفسي ذاتها ، اذا ما كنتم مجنونين ؟ ... لم يكن كافيا أن الزوج لا يحسن عمل شيء ، فكان من الضروري ايضا ، ابن ، ليكمل العمل الجميل ! ..
كان غاضبا ، وكى تتملكه ، اردفت ليتيزيا :

- لا تكن حانقا يا ابي . انا متأكدة بانك ستكون راضيا جدا بالحفيد ... حفيدك الجميل . نعم ، لانه سيكون جميلا ... جميلا كجده وكامه ... وستعترف في النهاية ، انني وطوني ، سنحصل في البيت ، على عمل رائع ! ..

- عمل رائع ! اكننت ملزما على الظهور في هذه الحالة ؟؟ كان ليس لدي ما فيه الكفاية لتسميم حياتي ! .. اعمال زوجك الرائعة ... ليس لدي ما فيه الكفاية لتسميم حياتي ! .. اعمال زوجك الرائعة ... كان لازما ان تضاف اليها واحدة من لحم وعظم ، في اسهام منك !
اخيرا ، هدأت العاصفة . اي والد منفل لا يذوب زقة ازاء احتمال صيرورته جدا ؟ ورغما عن هذا ، كان السيد كاسي يتكلم بجلاء وجد :

- والان ، وقد اتى الصبي ليزيد متطلبات الزوجين ، من اللازم ، ان يقرر السيد - واشار باصبعه القوية الى طوني يباكتيني - نهائيا ، وتختار مرة واحدة ، اما ان تدفن الادب اللعين وتأتي لتعمل في مؤسستي ، او ان تختفوا الثلاثة من امام بصري ، الى الابد ! الشاعر والمهمة والابن « العمل الرائع » ! بوسع المؤسسة ان تعيل الجميع ، ولكن يجب ان يعمل ... مع الشياطين ! الى الجحيم مع هذه السخافات الشاعرية التي لا يشتريها احد . ان اردني سيحال الى التقاعد ، ويلزم احد ما ليستلم حساب الصندوق . وبدلا من اعطائك وظيفة عادية ، اعطيك عملا بالف ومثني ليرة في الشهر . ومع الالف الذي اعطيه لابنتي ، لقوتها ، انه مبلغ رائع ! ولكن يجب ان تعمل .. يجب ان تعمل ...

وبعد ايام قليلة ، احتل الملك والمملكة ، مكانيهما في المؤسسة .. طوني على الصندوق ، وراء التسجيل الاوتوماتيكية ، ولتيزيا ، مدينة مضاعفا ، فوق ما يشبه العرش ، احتلت من القاعة الثانية ، جناحا من المعرض وقسم المبيعات .

وفي المساء الذي بدا فيه العمل ، حالما رجع طوني الى البيت ، وكان لا يزال عرضة لدوار ، من رقصة الارقام ، ومن عجلة الزبائن ، وضع مخطوطات رواياته الثلاث في ثلاثة مغلقات واودعها ركبتي زوجته قائلا لها :

- الحق مع ابيك . لم يكن من العدل ان نعيش على نفقته . انا فاشل ، رغب فيما لن يستطيع ادراكه . ولكن هذه الاوراق القديمة ، عزيزة علي ، فابعدها من امام عيني ، حتى لا يكون اعتزالي مؤثرا ! .. ولكن احفظها .. فهي ، بالرغم من الاحزان التي سببتها لي ، لا زلت احبها . انها بالنسبة لي ، كاواليدي !

واجابت ليتيزيا :

- اشعر بانني سعيدة ، لكونك ارضيت ابي . لكنني سباحظ -

دينيا - قصصك الجميلة ... ربما تدق العدالة يوما ، لك ايضا ..
فهز طوني رأسه كافرًا بذلك وذهب لينام . وفي الصباح التالي ،
عادت عجلة الامس :
- كم يا سيدتي العزيزة ؟ اه .. اثنا عشر طبقا للحساء ؟ ست
وثلاثون ليرة .. هنا « الفراطة » يا سيدتي ... زيفرينو، لف الطرد ...

ذات يوم ، بعد ستة اعوام من هذا التنازل الاختياري ، اكتشف
طوني بيانكي ، عندما كان مستلقيا ، يقرأ صحيفة ، خبرا حول مسابقة
ادبية تجريها مجلة بانفاق مع دار للنشر ، بين الكتاب الشبان ، غيسر
الناشرين بعد . ليس من جوائز نقدية ، لكن مجرد نشر القصة الفائزة
بعد ستة شهور من قرار لجنة التحكيم .

اطفا الضوء وتمدد قرب ليتيزيا ، البدينة ، وكانت تظف فسي
نومها ، كفوّهة متفاح ، مجبرة اياه على ان يظل مستيقظا ، في تفكير
مضطرب ، يقفز في دماغه . ومن ظلال الماضي ، انتصبت اشباح احلامه ،
واحدا واحدا ، وقالت له :

- واذا اشتكرت؟ من سيفرف ؟ لم تكن لديك حقا فرصة فقط .
قد تكون فاشلا لهذا السبب ! في الحقيقة ، لم يقرأ قصصك احد ما ،
وهي ليست اسوأ من هذه التي تظهر في كل فصول الربيع والخريف .
اطلب نصحا من ليتيزيا ، يمكنها اعادة المخطوطات ...

ويشما كانا يرتديان ثيابهما ، في الصباح التالي ، قال طوني
لزوجه عندما كان يعقد رباط عنقه :

- اسمعي يا ليتيزيا ، قرأت امس ، في جريدة ، ان مجلة ادبية ...
فقاطعت ليتيزيا ، وكانت ترتدي جواربها :

- حبا بالله ... لا تأتني ، بعد كل هذه السنين من الصمت ،
لتحدثني مرة ثانية عن ادبك البائس ... او انك تريد اغاظه ابي ؟ لقد
بات لدينا ولدان ، والثالث سيولد خلال بضعة شهور . وكما ترى ،
فالحظة غير مؤاتية للتحدث في الادب !

والح طوني :

- لكن ، كنت اريد ان اقول ...

فهتفت ليتيزيا مدخلة تنورتها عن طريق رأسها :

- ولكن ... حبا بالله ، لا تقل شيئا ... اذا سمع والدي ...
الجدران لها اذان ... لا اريد فلاقل جديدة بسببك . كفاية ما
فاسيته . ماذا تبغي اكثر من ذلك ؟ يعطيك ابي الفلي ليرة ... معاملة
امير ... لا ارى لزما ولا مناسبة ان تعود الى افكارك المعتوهة ، الان
حيث يعتبرك الجميع شابا مدركا ! ...

- لكن المسألة لا تتعلق بابيك !

حاول طوني ان يوضح :

- لك انت ، من اردت التحدث اليه ...

فصرخت ليتيزيا :

- لا شيء ! لا شيء ! حول هذه القضية لا اود سماع اي شيء .
علينا ان نفكر في العمل . كيف كان بوسعي ان اكون جد سخيف ، عندما
كنت صبية ، لدرجة ان اضيع وقتي في قراءة القصص ! .. وحتى ، انك
لست مرتديا ثيابك ؟ اني قد انتهيت وانت لم تمشط شعرك بعد ؟
ستصل متأخرا . وسترى الانفجار الذي سيحدثه ابي ...

وكان الانفجار قويا جدا ، والرعود شديدة الدوي ، لدرجة ان
طوني بيانكي ، في هذا اليوم ، لم يجرؤ حتى على الابتعاد ، ولو
لبرهة واحدة ، عن الصندوق ، ليتقدم من زوجته الضخمة ، التي كانت
فوق عرشها ، تبدو كتمثال جعلته ميكانيكية عبقريه يفتح ويقضم عينيه .
وفي الليل ، بعد المرحلة الاعتيادية في السابعة والنصف ، مع
الاب وموظفين مهمين في المؤسسة ، عندما تمدد طوني بيانكي ، قبل
ان يطفىء ضوء الوسادة ، جرؤ على تداول الموضوع من جديد :

- الصحيفة الادبية ...

- كفاية !

وصرخت ليتيزيا ، مولية له ظهرها :

- لست باكثر من مهووس ! ... دعني انام ! اني اموت من
النعاس ...

مهووس ! غير قادر على الرقاد ، كان طوني يتذكر الامور ، محدقا
بعناد ، في عتمة الغرفة . مرحلة اولي ؟ شاعر كبير ، كاتب موهوب ،
كبلغ والدولارات ، ويلز وكونان دويل وقصورهما ! مرحلة ثانية ؟ في
العام التالي ، رأي تيريزيا مؤكدا بواسطة ليتيزيا - فاشل ! بعد
ست سنوات ، مرحلة ثالثة ؟ ادارة كتفي ليتيزيا - مهووس !

في هذه الحالات ، كيف يحدث زوجته عن المسابقة ، عن اماله
الجديدة ؟ كانت حينما تراه يتناح كتب بتوفيرات النقود المخصصة
للفائف ، تهمهم بقلق :

- تنفق نقودا لشترتي اوراقا قدرة ، في الوقت الذي انا فيه
محتاجة لاشياء كثيرة ! حبذا لو اشتريت قليلا من القماش لنخيطة
ثيابا للولاد ... موتشينو ، مثلا ، تلزمه بذلة .

موتشينو ، انسلمو ، انسلمينو ، انسلموتشيو ... كان هو ابنه
الاول . عمره سنتين ، كان خمس سنوات . يا للمخلوق المسكين !
لم يكن سوى ابن مهووس ! نعم ، كان هذا رأي الجميع ، في البيت كما
في المؤسسة . وعندما كان يدقق في فانورة ، يأتي بخطا ، فيفاجأ
بالموظفين ، اولئك الذين كانوا يلتصصون بابتسامة صغيرة فاسية ،
على طرف شفاههم ، كانوا يسألونه : « لماذا لا تعلم الحساب ،
ايها المهووس البائس ؟ » وكان اذا نبه احدي الضاربات على الالة الكاتبة ،
عن خطأ في القواعد ... كانت الموظفة تنهض مشيرة بكتفها ، وكان
يعرف ان ذلك كان يعني : « يا مهووس ! انتبه للارقام ، ودعني في
سلام مع قواعد اللفة ! » ومرات غيرها في الحديث ، عندما كان طوني
يشدد في ضرورة تطور الثقافة ... كان جموده يدافع عن الاميين قائلا :

- دعني في سلام يا طوني ؟ ماذا استطيع ان افعل اذا كنت ملما
بقواعد اللفة ؟ في اي شيء ، هذا ... يساعد عملي ؟ الشيء الجوهري ،
هو ان تعرف الارقام ، وان تقوم بحسابات صحيحة ... ارقام يسا
عزيري ، ارقام ... وكل ما تبقي ، لا يساوي حلزونا !

مع كل هذا ، لم تسحق الرغبة الجامحة ، وتجرا طوني بعد ايام
بان يستجوب زوجته مقدما بناء اخر للجملة :

- يا عزيري ليتيزيا ، انت ، الطيبة القلب جدا اذ تصونين
بانتباه شديد ، نعم ، انا متأكد بانك تحفظينها ... هذه القصص
الثلاث ، البائسة ، التي اودعتك اياها .

- نعم ، نعم ...

قالت المرأة ،

- خبأتها مع كل انتباه ، هل تفكر ان احدا سرقها ؟ يجب ان
تكون قابعة هناك في المستودع (o) ، في حقائب الادوات العتيقة والتالفة ...
وسألها بوجل :

- اه ... نعم ؟ في الحقائب ؟ اه ، عال ، عال ... ايمكنك ان
تقولي اذا كانت في التي فوق ، ام في التي تحت ؟ ..

- اود الاعتقاد بانك تريدني ان افتش عنها في هذه الكومة من
الاشياء العتيقة ...

اجابت ليتيزيا واردفت :

- لو عرف ابي ان هذا الهوس عاد ! ...

- ساكون حذرا ، بحيث اترك كل شيء في موضعه . لا اربغ
سوى مشاهدتها ، اذا كانت مصانة جيدا .

فاعترضت ليتيزيا :

- لا تحاول ان تفعل هذا ، فوالدي هو الذي يحتفظ بالمفاتيح !

- ولكن ... انا ...

- كفاية ! عكس ذلك ، ستصل متأخرا الى العمل . من الضروري
اعداد معرض عيد الميلاد ، والموظفون بحاجة ان يقودهم ، ومن يرشدهم

(o) CELEIRO : وهو المكان الذي تحفظ فيه الحاجيات

القديمة وقد تطلق هذه الكلمة على حجرة المؤونة ايضا .

... بعد ان اغسل الاولاد ، سألهم ايضا لاعد بعض الواجهات حسب ذوقي ...

كان طوني بيانيني يقول لنفسه بعد مدة قصيرة ؟ ان انتصار الموهبة في مادة الفن ، هوائيا ودائما ، نصر للشخصية . ولشئ طريق ، تلزم رغبة حديدية لا تنكسر ، ايمان غير مطواع ، ايمان قسار على مقاومة الاحداث المشاكسة ، والحالات الاكثر تضادا .

انه لم يكن يدري تماما ، اذا كان لديه ام لا ، قليل من الموهبة ، لكنه كان متأكدا من ان الشخصية لم تكن لديه قط . كيف كان باستطاعته ، هو البائس الوضع ، ان يعترض على ازدياد الجميع ، اذا لم يكن يعرف ان يناهض ازدياد امراته ذاتها ؟ كان يشعر بكل السخرية التي كانت في تلك الحالة ، اذ جاء يتحدث بعد وقت طويل ، عن اماله المسكينة المهمة . وهذا الشعور قد انتهى بان يقطع له الكلمة . لكن ، لو لم يكن بوسعه الكلام ، كيف كان يتسنى له قط ان يحصل على الصواب ؟ كان عليه فقط ، ان يخفي الرأس ويعتزل . اسوأ شيء بالنسبة له ، ان اعطاه الله رغبة في الجري ولكنه كان يمتلك زوجا من السيوف الثقيلة كالرصاص .

خيط انعكاساته كان ينقطع ليفسح مكانا لميكانيكية المهنة :

— كم تدفعين يا انسة ؟ « الفراطة » هي هنا ... شكرا . والسيدة كم تدفعين ؟ عال ... هنا « الفراطة » ... الا تهتمين لو أخذت اوراقا نقدية هكذا ؟ زيفرينو ، لف هذه الاطباق للسيد النقيب (٦) . لكنه ، ليلا ، في سريره ، لم يكن يستطيع الرقاد . ليتيزيا كانت تطف ، وكان يدري انه حتى ولا هزة ارضية توقظها . وفي الساعة الواحدة ، جرؤ فنهض بحذر على رؤوس قدميه ، دون ان يحدث جلبة ، وتترك الحجرة متجها الى حجرة الطعام ، حيث بدأ يكتب على طاولة فيها ، موضوعا اساسيا كان يدور في رأسه منذ زمن ، ونقله شيئا فشيئا الى الورق . كان يقدم قصة ، لكنها قصيرة . قصة قصيرة ، لكنها حية ، عصرية وملدة . وليلة بعد ليلة ، كانت القصة تتضخم . كان طوني بيانيني ينام ساعتين في الليل فقط ، مستهلكا البقية في التأليف الذي كان يستنزفه بحرارة ، كانه حمى مهلكة ...

« حياة وموت » كان هو العنوان الذي اعطاه للقصة . وذات يوم بجانب الصندوق ، تشاب طوني . وجاءت ليتيزيا هابطة من جناحها ، تستوضحه قرب منصة البيع :

— ما هذه الخشونة ؟ تشاب في وجوه الزبائن ؟ كانك لا تنام الليل بطوله ولا تسبيلي كبير غناء في ايقاظك كل صباح ؟ وبهذه الطريقة ، هزل وامسى شاحبا . حتى ان ليتيزيا جزعت فاسرت لابها بمخاوفها ، فقال السيد كاسي :

— اي هزال ! ... لا شيء ! وجه شاعر هو وجهه ... شعر ! ... شعر ...

وضحك بوحشية ، كان نكلمه عن الشاعر والشعر ، كان بمثابة التسمية للشئين الاكثر سخرية وعارا في الدنيا .

انتظر طوني بيانيني قرار الحكامين ، ستة اشهر . ويوما ، كان مستلقيا على السرير يقرأ صحيفته ، عندما ترك صرخة تفلت منه بفتة .

— ماذا بك ؟ هل انت مريض ؟

سألته المرأة ، وهو ، دون ان يستطيع نطقا ، كان يهز الجريدة فقط :

— هنا ... هنا ... هنا ...

— ماذا بك ؟ اجننت ؟ اسالك اذا كنت مريضا فتريني الجريدة فقط ! هيا ... لاتفعل كالابله ، انك تخيفني ! سانادي ابي !

واعطى التهديد طوني قوة النطق :

— اقرئي هذا ... انها جائزة القصة !

— اه ! اعطوا جائزة القصة للمدعو كورادو سبادا ، مؤلف

« حياة وموت » .. وماذا يعني ؟ في اي شيء يمكن الافادة منه ؟ اهو احد اصدقائك ؟

ودعم طوني كالاطفال :

— كلا ، كلا ، انا لا اعرفه ... كورادو سبادا ... كورادو سبادا ...

وفجأة تشجع ووجد قوة ليقول :

— كورادو سبادا ... ولكنه انا ! .. انا هو كورادو سبادا ..

انا هو

— حقيقة ؟ الجائزة لك ؟ كم هي ؟ الست تمزح ؟ كم ؟ عشرون

الف ليرة ؟ عشرة ؟ خمسة ؟ .. ثلاثة ؟ الف ؟ ...

اجابها ضامنا اجنحة التخيل التي كانت في عياب الطيران :

— لا شيء ! لا شيء ! ليس هنا نقود .. مجرد نشر الكتاب خلال

بضعة اشهر .

وفتر ابتهاج ليتيزيا ، للصدمة ، وولد الشك سريعا في نفسها :

— حكايات ! هذه هي خيالاتك ... انك تخرع ... اي كتاب

هو هذا « حياة وموت » ؟ متى كتبته ؟

— في الليل ، خلال ليال عديدة ، بينما كنت ترقدين ...

— ولماذا لم توقع اسمك ؟

— اخترت لقباً ، من الخوف ، خوف الفشل ... وفوق كل هذا ،

خوفا منك ومن ابيك ... خشية ان تضحكا مني ...

وبعد عبارات اخرى من الايضاح ، تشابت ليتيزيا :

— لقد فات الوقت يا عزيزي . اشعر بكثير من النعاس . سننتكلم

عن هذا غدا . الان ، التزم الهدوء وقبلني ... هل انت راض ... هاه ؟

انا ايضا راضية ... غدا نقول لوالدي ...

— لا ، لا ...

توسل طوني ثم استطرد : — له ، كلا !

كان يريد مزيدا من الوقت ، وادرف :

— بعد وقت ... بعد وقت ، ربما ...

وفي اليوم التالي ، كان يرغب ايضا في ان يجهل السيد كاسي

ما قد حصل . ووضح لزوجته :

— لنذع الكتاب يصدر ... لا توجد جوائز مالية ، ووالدك لا يفكر

الا بهذا ... انه لن يفهم قيمة جائزتي ، رغما عن الصحف التي تطري

نتاجي ، وقولهم بان كورادو سبادا ...

فقاطعت ليتيزيا :

— بصدد هذا الموضوع .. لماذا لم توقع اسمك ؟ .. لماذا لا

تعلنه الان ؟

فاوضح هو :

— لقد فات الاوان . اسم طوني بيانيني معروف حاليا في الوسط

التجاري ، بين زملاء ابيك ، وبهذا الاسم اوقع الرسائل التجارية . ان

اباك لن يكون راضيا اذا كان اسمي البائس قد اضاع رصانته وثقته ...

لهذا ، في ساعة طيبة ، صممت على خلق شخصية كورادو سبادا . وبهذه

الطريقة لن تكون هناك مضايقات ، اذ ان احدا لا يعرفه ... واذا شاء

الله ، في وقت لاحق ، ان اعيش من قلبي ، نترك التجارة ونهضي لتحتيا

لوحنا كي نستطيع ان نعمل في سلام ، حالاً من جديد ... وسأغدو

لكل الناس ، كورادو سبادا . هناك كثيرون ممن يحيون باسماء اخرى

... بيير لوطي ... اناطول فرانس ... وهنا في ايطاليا !

— وهل لديك البهجة لتحتيا باسم زائف ؟ اذن ، انظر ، كن عارفا

يا طوني بيانيني او يا كورادو سبادا ، انه عليك ان تنزع هذه الافكار

من رأسك ! اجل ، لاني بطريقة ما ، ساترك ابي ، ولن اترك التجارة باية

طريقة . انت مجنون ، فمستقبل اولادنا هو في المؤسسة ، وليس في

كتبك الشهيرة !

فاجابها طوني بيانيني بضعة :

— سوف نرى ... سوف نرى ...

CAPITAINE

(٦)

ومضت ستة أشهر . الأعمال كانت في اطراد . افتتحت محلات جديدة ، وكان طوني يباتيني ، يرى ان استحقاقاته لم تزد سوى بمعدل الربع . كان لزاما عليه الان ، ان يظل منكبا فوق دفتر الحسابات حتى لساعتين او ثلاث ، واحيانا ، اذ يطفئ الضوء ، كان يتنهد ، منهوكا من التعب :

– لحسن الحظ ، انتهت المسابقة منذ شهرين ... لو كانت الان ، ما كان باستطاعتي ان اكتب « حياة وموت » ...
و ذات يوم ، وصلت رسالة ، كانوا يقولون فيها :
« قصتك « حياة وموت » جاهزة . والاعداد الاولى ارسلت للنقاد .
اعمل معروفا ومر علينا لتقبض ما يصيبك ، كحقوق المؤلف ، ولتتفاهم معنا ، حول قصة جديدة ... »

ركض طوني الى البيت منتصرا ، ودخل كهبوب الريح الى غرفة الحمام ، حيث كانت ليتيزيا تعد نفسها للفداء ، وصاح في نقل ابتهاجه :
– ليتيزيا ، ليتيزيا ! انباء عظيمة ! صدر الكتاب ، ويطلبون مني قصة جديدة ! ذهبت اليه هذاهذا الصباح بالذات ، ولكن الوقت كان مبكرا . لم يكن هناك احد . ساعدو غدا وكتابي الجديد تحت ساعدي ... هم يطلبون واحدا ، ولدي ثلاثة ! الحمد لله ! كتاب واحد فقط ، لا يصنع ثروة للكتاب ، ولكن اربعة .. نعم ، ان اربعة تصنع الان ، الباب مفتوح ... المجد ، الثراء ... وكله دون احداث ضرر في اعمال ابيك ...

وتوقفت ليتيزيا عن تسريح شعرها ، وتطلعت اليه بامعان ، وبصمت .
– ماذا بك يا ليتيزيا ؟ لماذا تنظرين الي هكذا ؟ هيا ... الست راضية ؟ الا ترين اني مجنون من الفرح ؟ فكري ... فكري ! باني غدا ، ساقبض الالف الاولى التي ربحتها من فني ، والتي سأخذها الى ابيك قائلا له :

« هذه هي ... عدا ... لقد ربحتها من كتابي ، اسمعت ؟
والاخر ستتوالي ... لدي ثلاثة كتب جاهزة . ويمكنها ان تطبع في ذات الحجم ... غدا ستنهضين باكرا ، وتطلعين من ابيك مفتاح المستودع ، وستذهبن لبحث عن القصص الثلاث .. ولكن لماذا لا تتكلمين ؟ هيا اجيبي ، ليتيزيا ! ليتيزيا ! لماذا تنظرين الي هكذا ؟ لماذا ترتجف شفتاك ؟ ماذا بك ؟ اجيبي !

وانفجرت في نسيج ، مسندة رأسها بصدر طوني . وفي وسط هذه العاصفة انتهت بان تقول :

– سامحني يا طوني ... سامحني ... ما كنت ادري ، ما كان بوسعي ان اعلم ... لكن ، منذ ثلاثة اعوام ، احتاج ابي للحقائب ، ليضع فيها ، لا ادري ما هو .. ويوما ، بعث هذه الاوراق القديمة ، بقليل من النقود ، تعرف ! ... ذات المبلغ لشراء زوج من الجوارب الملونة لموتشينو ...

فصرخ طوني بصوت ابح :

– والقصص ؟ وقصصي ؟!

– سامحني ... سامحني يا طوني ... ما كان بوسعي ان افكر ... انت نفسك ، كنت تبدو متناسيا ... كنت قد اعتزلت ... صدقت ، اسمع ، ان كل الناس قد رفضتها ... واني صدقت ... كلمات تيريزينا ، البائسة ، امست مثبتة في فكري ... كنت اراك هكذا ، هكذا فقط ؟ رجلا بائسا ذا تصورات بلهاء ، متروكة الان ومنسية !
وطوني المتألم لدموعها ، اخفى دموعه ، واحتضنها بشدة ، يريسد مؤاساتها :

– لا تظلي حزينة هكذا ! كان هو حظي ... ما العمل ؟! كان هو حظي البائس ! ...

وردت ليتيزيا بضعة :

– اغفر لي ! اغفر لي ...

لكن ذلك التواضع لم يدم اكثر من اربع وعشرين ساعة ، او افضل ، حتى اللحظة التي عاد فيها طوني الى المنزل ، جالبا معه مجلة ادبية كانت تتحدث عن كتابه . وقالت ليتيزيا :

– جميل ! جميل جدا ... « حياة وموت » لكورادو سبادا ...
ولكني كنت افضل اسمه « حياة وموت » لطوني بياتيني ! ...
واذ وضعت الكتاب على الطاولة ، مرت بكسل الى مقطع اخر ، اكثر اهمية :

– وحقوق التأليف ؟

وبعد مرتجة ، بسط لها طوني بخوف ، ثلاث ورقات من فئة المئة ليرة ...

فسألته ليتيزيا :

– ما هذه ؟ قسم ؟ دفعة مقدما ؟

واجاب طوني بعينين مسبلتين :

– كلا ، كلها هنا ... طبعوا الف نسخة فقط . انا شاب ، لا زلت مجهولا ، يجب ان ندرسه حتى لو افترضنا انهم يبيعونها كلها ... حسنا ، فالورق غال جدا ، وهناك تكاليف الطباعة ، وبعدها ، المكتبات تنقاضي عملتها ... وهذا هو السبب الذي من اجله اقبض ثلاثمئة ليرة فقط ! تناولت بازدرء ، متنهدة ، اوراق النقد البائسة ، ووضعتها في فتحة الصدر ، وقالت بصفح :

– افضل من لا شيء ! لكن ، المبالغ الشهيرة التي كنا ننتظرها ! ... ارباح القصصيين اللامعين ! اوها ! دائما اوها ، يا عزيزي طوني ... نهاية الامر ، هكذا افضل ... انه على الاقل ، يزيح عني ثقلا كبيرا ... فكتبك ، ما كانت لتدر اكثر من الف وخمسمئة ليرة ! لا يهم ! لتنقص الف وخمسمئة ليرة ... لكن لن يكون موت انسان ...
وكان مسيرا بالضعة ، يفكر بنفسه ، كما كان الآخرون يفكرون حياله ، وهمس بدوره :

– بالطبع ... بالطبع ... ليس هو موت انسان ...

في اليوم الحادي والثلاثين من كانون الاول ، كانت العادة ، ان تقام حفلة كبرى . حفلة اختتام العام ، في القاعة الداخلية للمؤسسة . وكان الخمر يتدفق بكثرة ، والسيد كاسي في هذا الميعاد ، خلاف العادة ، كان لا ينظر الى النفقات . وكان جميع الموظفين يأتون . خسون شخصا كلهم . وبين الابنة والصهر ، كان هو يرأس الاجتماع . وكان يحسني من الكل : نبيل ابيض وملون ، بيومونتي وتوسكاني ، جنوي وروماني ، خفيف وحاد ، ناشف وحلو . ومن وقت لآخر ، كان يسمع صوته :

– مهلا يا ناس ! ينبغي ان تتركوا موصعا للشمبانيا ...

وكان المدعوون يصرخون :

– شمبانيا ! شمبانيا ! .. لتات الشمبانيا ! اجل لناخذ سكرة ...

هيا ، جيمعا ، لنشمل ...

كان يسمع قولهم بصورة جماعية . وتطلع السيد كاسي الى ابنته منفلا ، او بالاحرى ، مدعورا من وضع صهره ، البعيد والحوم :

– زوجك هو الوحيد الذي لن يشمل .

فاجاب طوني متادبا ، بصوت خافت :

– اني لا استطيع الاكثار !

فاستطرد حموه :

– لا توجد دماء في شرايينك ! الخمر يعني دماء ، يعني مزاجا جيدا ، يعني قوة ... والقوة تعني عملا ، والعمل يعني نقودا ... بهذا فقط تفوز في الحياة ! ومن انت اخيرا ؟ شاعر ! وما كل الشعراء على شاكلتك ... فيين هؤلاء المجانين ، يوجد البعض ممن توصلوا الى ان يفرضوا انفسهم ...

فتوسلت ليتيزيا في دقيقة جلاء :

– ابي ، ارجوك ...

– لماذا يتوجب علي الصمت ، تخشين عليه ان يهان ؟ اريد العكس ،

ان احده بوضوح ... اريد اعادة تثقيفه بقول كهذا ... هناك آخرون ، على الاقل ، يجدون ، يعملون بانفسهم ... الان بالذات ، قرأت موضوعا حول شاب كتب قصة جميلة ... كورادو سبادا ... هذا ، على الاقل ،

الذين سنتنصر ، نحن الشعراء ! الحقيقة الوحيدة هي الشعر ... وانتم ، حيوانات قدرة ، خنازير ، خزائن رخيصة ، مكسدة نقودا قدرة ، انتم ، من لديكم القحة ، تفرضونها علينا نحن الآخرين ، على حريتنا وعلى حقنا في ان نفدو اكثر نبلا . اننا نسخر من اسمائكم ، ونضحك من انوفكم ، ونغفر من اهميتكم ... هكذا ...

وقذف بنفسه الى الامام ، ولكن ، قبل ان تتمكن يده من الوصول الى خذ حميه ، امسكت به سواعد اربعة ، وهيمنت عليه . وعلى الاثر ، سيق الى حجرته ، بينما كان السيد كاسي يصرخ بالشتائم :

– جن الشاعر الكبير ، ان عقله مقلوب !
وبينما هو كذلك ، كان الآخرون ، ثملين ، وقساء بفعل المشروب ، يتابعون الفناء :

« ليعش كورادو
وليمت بيانكي
الاول تالياتلي
والثاني تالياريني »

في اليوم التالي ، اول كانون الثاني ، كان طوني بيانكي ، في الساعة الثامنة ، قد اصبح عند الصندوق ، خلف آلة التسجيل :
– كم يا أنسة ؟ زيفرينو ! لف طاقم الشاي ، هذا .. هذه هي « الفراطة » يا أنسة ...

وبعد الظهيرة فقط ، عندما كانت ليتيزيا ما تزال راقدة ، ظهر السيد كاسي في المؤسسة ، لا يزال وسنان ، تفوح منه رائحة الخمرة ... وعند رؤيته الصهر في عمله المعتاد ، ربت على ظهره برفق ، وقال له بصوت سموح :

– اي مجنون كنته البارحة ليلا ! ... لست ادري كيف وضعت في رأسك ، انك كورادو سبادا ! وقبعنتي بشتائم من جميع القياسات والاحجام ... لكنني قد صفحت عنك ، لاني رأيت ان قدحا صفيصرا يكفي لتبديل رأسك ... تصور انك البارحة ، ايها البائس الفقير ، غدت تملأ لدرجة مخيفة ! ..

وطوني بيانكي ، اذ عاد ليبدو لطيفا وموافقا ، تقبل ذلك بابتسامة باهتة :

– ارجو العذرة ... حضرتك مصيب ... فانا حقا كنت ثملا تماما ! ...

ترجمة عوض شعبان

منشورات دار الاداب

في

المملكة الاردنية الهاشمية

تطلب من

الوكالة الاردنية للصحافة والنشر

لصاحبها مرسى الاشقر

عمان – شارع بسمان

تلفون ٢٤٢٢٤ – ص. ب ١١٢١

عرف كيف يربح جائزته !

بينما كان يتكلم ، كان السيد كاسي يحتسي الخمر .. وكل الناس من حوله ، كانوا يفعلون نفس الشيء . وازاء كلماته الاخيرة ، نهض طوني بانتفاضة ، ممدلا موقفه ، ومحدنا لكمة عنيفة على الطاوله ، جعلت كل الكؤوس تهتز . وصاح غاضبا على حين بفته ، وعيناه شاخصتان :
– انت لا تدري من هو كورادو سبادا ؟ انك لا تعرف شيئا !
انت لا تفقه شيئا ! فكورادو سبادا ، القصاص ! القصاص الذي تحدث عنه الصحف ؟ كورادو سبادا هو انا ! انا هو ! انا هو !
واصدت قهقهة داوية في جميع ارجاء القاعة . وانفجر السيد كاسي في الضحك :

– كورادو سبادا ، هو ! هو كورادو سبادا ! ثمل هو ايضا ، هو ايضا ثمل !

وصاحت اصوات اخرى :

– انه سكران ! انه سكران !

وكان طوني يقول :

– اجل ، الكتاب هو لي ! الكتاب هو لي ! كورادو سبادا هو انا ! واستمر السيد كاسي في الضحك :

– انه خيالي ! لا يصح معارضته ... حسنا يا بني ، كورادو سبادا هو انت ! ..

وكانت لدى ليتيزيا القوة لتقول في معمعان ثملها :

– انه هو حقا يا ابي !

لكن كلماتها ضاعت وسط الصخب العام .

– هو كورادو سبادا ... انه سكران ! كورادو سبادا ... انه سكران !

وبفته ، بدأ الجميع يغنون ، مرتجلين قافية للحن شعبي قديم :

« ليعش كورادو

وليمت بيانكي

الاول تالياتلي

والثاني تالياريني »

كانوا كلهم يرددون الانشودة سويا ، ريشما تظهر الشمبانيسا ... عندها ، خيم صمت جامح ، بينما الكؤوس تملأ من السائل ذي الرغوة :
واغنتم طوني اللحظة لينفجر :

– محفل الاندال ! وانت ايها « البطن الذهبية » ، اكثر ندالة من الآخرين .. انت بائع الخروضات الرخيص ، لم تصدق ابدا ، بانني ذو موهبة . كنت تسخر مني لاني كنت شاعرا ، ولان الشعراء كانوا دائما يضحكون الماديين اللثام امثالك ... انا ، كنت اعرفك ، انسا الوجل ، الصامت ، المتواضع ، كنت اضحك منك ايضا ... من نقودك القدرة ، من لؤمك ، وكنت تثير في الشفقة ، في نفس الوقت الذي كنت فيه تكرهني . كنت امقتك ، وامقت نقودك ، احساسك العملي البليد ، وشعورك السوقي ، وجهانتك المطبقة ، ووحشيتك التي تتجسد فيها جيذا ! كنت اعمل ، بينما كنت انت تنام بنعاس وحشي . كتبت كتابا ونشرته ، وكدت انشر ثلاثة غيره ، لو لم تكن ابتك الفاضلة ، قد باعتها لتبتاع قذارة ماء لابني ...

– لا تشتم حفيدي !

قاطعه السيد كاسي بضراوة وادرف :

– هذا لا اسمح به . امنك من الاشارة باسم موتشينوني ...

فاستطرد طوني :

– كيف ؟ موتشينونك ؟ موتشينو هو خاصتي ، ككتابي ايضا ، كحلمي ، كاسمي الجديد ، الذي ينبغي لكم الا تلفظوه ، ولا واحد منكم ... اما الآخر ، طوني بيانكي ، فاقدمه لكم كهبة ... انه ظلي فقط ... لكن كورادو سبادا ، كلا ... هذا ، لن اعطيه لكم ... كورادو سبادا يحتقركم ويحكم عليكم ، على الجميع ، كما هم ! ان الشاعر سبادا يعلن ان المال ليس هو الشيء الذي يؤثر في الحياة ، وان التجار ليسوا هم اسيااد العالم ، وان الحقيقة تتطلب على كل شيء ! نحن